مؤلف: **مجموعة مؤلفي بيان الإسلام**
مصدر: **موسوعة بيان الإسلام**
لتاريخ: **25/08/2020**

نص السؤال

الزعم أن تعدد قراءات القرآن نوع من الاختلاف والتحريف

الجواب التفصيلي

الزعم أن تعدد قراءات القرآن نوع من الاختلاف والتحريف (*)

ون الشبهة:

لطاعنين أن تعدد قراءات القرآن الكريم يدل على الاختلاف فيه، وأن هذا - في رأيهم - نوع من التحريف؛ قاصدين الطعن في تعدد القراءات والحكمة من هذا التعدد، ومن ثم التشكيك في عصمة القرآن.

إبطال الشبهة:

1) إن تعدد القراءات لا يعني الاختلاف والتغاير؛ بل إن النظرة المنصفة لهذا التعدد وما نبط به من حكم من شأنها أن تبين بجلاء ووضوح ما في هذا التعدد من إعجاز وبيان.

2) تعدد القراءات لا ينتج عنه أي اختلاف في أصول الدين ولا فروعه، إنما هي طرق متنوعة في الأداء الصوتي أكثر منها في البنية الصرفية أو التركيب النحوي، وهي مضبوطة بضوابط وضعها العلماء.

3) تعدد القراءات وحي من عند الله ووقف منقول عن الرسول - صلى الله عليه وسلم - وليس تبعا لأهواء البشر وأذواقهم.

4) تعدد القراءات القرآنية لا يشمل إلا كلمات وألفاظا محصورة فقط في بعض الآيات.

5) قراءة الكلمة القرآنية على أكثر من وجه نحوي أو صرفي، يساعد على أداء المعاني ما دام قد أقرها رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وهذا لا يعني تضاد المعاني أو تناقض المدلولات.

ل:

اءات لا يعني اختلافها، وهو لحكم جليلة:

ون شيئا عن المفهوم الحقيقي والمعنى الاصطلاحي لعلم القراءات، فأخذوا بظاهر اللفظ من ناحية اللغة، وحسبوا أن تعدد القراءات يعني تغايرها، كما يدل عليه ظاهر لفظ "تعدد" في العرف اللغوي العام.

عدد" هنا - في اصطلاح هذا العلم - لا تعني الاختلاف والتغاير المؤدي إلى اختلاف المعاني وتغايرها، لأننا إذا بحثنا في جميع القراءات لن نلحظ أي اختلاف أو تغاير ذي بال في المعاني أو الألفاظ.

اية هؤلاء المدعين إلى ضرورة مطالعة هذا العلم ومدارسته ومعرفة قواعده، ونحن على يقين من أنهم بعد ذلك سوف يهتدون إلى يقين لا شك فيه بأنه لا خلاف بين القراءات، وأن تعددها لا يغير في المعاني ولا

حق،

ث أتاه جبريل فقال:

«إن الله يأمرك أن تقرئ أمتك القرآن على حرف"، فقال صلى الله عليه وسلم: "أسأل الله معافاته ومعونته؛ فإن أمتي لا تطيق ذلك"، ولم يزل يردد المسألة حتى بلغ سبعة أحرف»

([1])،

ثم قال: "وكما ثبت أن القرآن نزل من سبعة أبواب على سبعة أحرف، وأن الكتاب قبله كان ينزل من باب واحد على حرف واحد، وذلك أن الأنبياء - عليهم الصلاة والسلام - كانوا يبعثون إلى أقوامهم خاصة، والـ

المتكلف وتأبى الطباع. ا.هـ

ك علما هنا بأن لهذا الاختلاف والتعدد فوائد أخرى، منها:

1. جمع الأمة الإسلامية الجديدة على لسان واحد يوحد بينها، وهو لسان قريش الذي نزل به القرآن الكريم، والذي انتظم كثيرا من مختارات ألسنة القبائل العربية، التي كانت تختلف إلى مكة في موسم الحج وأ

فود العربية القادمة إليهم من كل صوب وحدب، ثم يصقلونه ويهذبونه ويدخلونه في دائرة لغتهم المرنة، التي أذعن جميع العرب لها بالزعامة وعقدوا لها راية الإمامة، وعلى هذه السياسة الرشيدة نزل القرآن على

2. الجمع بين حكمين مختلفين بمجموع القراءتين،

لى:

ساء في المحيض ولا تقربوهن حتى يطهرن)

(البقرة: ٢٢٢)

د والتشديد في حرف الطاء من كلمة "يطهرن" ولا ريب أن صيغة التشديد تفيد وجوب المبالغة في طهر النساء من الحيض؛ لأن زيادة المبنى تدل على زيادة المعنى، أما قراءة التخفيف فلا تفيد هذه المبالغة، ومجـ

ائض لا يقربها زوجها حتى يحصل أصل الطهر، وذلك بانقطاع الحيض.

إلا إذا بالغت في الطهر، وذلك بالاغتسال، فلا بد من الطهرين كليهما في جواز قربان النساء، وهو مذهب الشافعي ومن وافقه.

3. الدلالة على حكمين شرعيين، ولكن في حالين مختلفين، كقوله - عز وجل - في بيان الوضوء:

(فاغسلوا وجوهكم وأيديكم إلى المرافق وامسحوا برءوسكم وأرجلكم إلى الكعبين)

(المائدة: 6)،

صب يفيد طلب غسلها؛ لأن العطف حينئذ يكون على لفظ المنصوب، وهو مغسول، والجر يفيد طلب مسحها؛ لأن العطف حينئذ يكون على لفظ (رؤوسكم) المجرور وهو ممسوح، وقد بين الرسول - صلى الله عليه

مرادا

له سبحانه وتعالى:

(يا أيها الذين آمنوا إذا نودي للصلاة من يوم الجمعة فاسعوا إلى ذكر الله)

(الجمعة: 9)

رعة.

م نحو

ه سبحانه وتعالى:

(وتكون الجبال كالعهن المنفوش (5))

(القارعة)

كالصوف المنفوش "، فبينت القراءة الثانية أن العهن هو الصوف.

لها:

(وإذا رأيت ثم رأيت نعيما وملكا كبيرا (20))

(الإنسان).

دار:

(لمن الملك اليوم لله الواحد القهار (16))

(غافر).

6. تنوع القراءات يقوم مقام تعدد الآيات، وذلك ضرب من ضروب البلاغة، يبتدئ من جمال هذا الإيجاز، وينتهي إلى كمال الإنجاز أضف إلى ذلك: ما في تنوع القراءات من البراهين الساطعة، والأدلة القاطعة على

جز أيضا إذا قرئ بقراءة ثانية، ويعجز أيضا إذا قرئ بقراءة ثالثة، وهلم جرا، ومن هنا تتعدد المعجزات، بتعدد تلك الوجوه والحروف، ولا ريب أن ذلك أدل على صدق محمد - صلى الله عليه وسلم - لأنه أعظم في اشت

(ليهلك من هلك عن بينة ويحيى من حي عن بينة وإن الله لسميع عليم (42))

(الأنفال)([2]).

بالإضافة إلى ما سبق، يؤكد د. محمد محمد أبو شهبة على مزيد من المعاني والحكم في هذا الشأن، قائلا: "إن هذه التوسعة والإباحة في القراءة بأي حرف من الحروف السبع، إنما كانت في حدود ما نزل به جبر

كفر» "([3]).

والعلل المبينة من تعدد القراءات، فهي نعمة كما أرادها منزل الكتاب، وليست نقمة كما صور الزاعمون أنها دليل على التحريف وشاهد على التبديل.

اءات لا ينتج عنه أي اختلاف في أصول الدين أو فروعه، إنما هي طرق أداء صوتية أكثر منها اختلافات صرفية ونحوية:

ننا إذا نظرنا إلى الأمور التي تتمايز فيها كل قراءة عن أخرى سوف يتضح لنا أن ذلك على ضربين هما:

1. الأصول: وهي المبادئ العامة في طريقة الأداء الصوتية فقط عند كل قارئ ومن يروي عنه من الرواة والنقلة الآخذين منه، فمنهم من يمد بعض الحروف - حروف العلة إذا تلاها همز أو سكون - ومنهم من يق

كله لا يتعدى القواعد التي يقرأ بها ولا يحيد عنها، فأي اختلاف وأي تحريف في المعاني والأحكام، ينتج عن مجرد نطق حرف مفخما عند بعض ومرققا عند آخرين؟! وأي اختلاف وأي تحريف يترتب على إمالة حرف، أ

2. الفرش (المفردات): وهذا هو التمايز الثاني في طريقة أداء كل قراءة عن الأخرى، وإن كان الأصل في هذا النوع هو تغير في بنية الكلمة، أو في حركتها الأخيرة إلا أنه دائما راجع إلى أساليب العرب في كلا

أما إذا كان الاختلاف في حركات أواخر الكلمات أي في الإعراب، فهذا لا يترتب عليه، أي اختلاف في المعاني، إلا كونه تنوعا في الأساليب المؤدية كلها إلى معنى واحد وحكم واحد، ومثال ذلك

ه سبحانه وتعالى:

(ويوم تسير الجبال وترى الأرض بارزة وحشرناهم فلم نغادر منهم أحدا (47))

(الكهف)

به منصوب، فمنهم من قرأها: "ويوم تسير الجبال" ببناء الفعل "تسير" للمجهول، وعليه تكون لفظة "الجبال" نائب فاعل مرفوع وعلامة رفعه الضمة، وعلى هذا يقاس كل تمايز في المفردات بين القراء، فنحن نلا

ها بعض الفقهاء في أحيان قليلة جدا، معتمدين على بعض القراءات في جانبها الإعرابي، لم يكن دليلها الوحيد هو هذا الوجه من القراءة فقط، كما لم يكن هذا الدليل هو الحاسم في توجيه ذلك الحكم واستنباطه،

ات لا يترتب عليه أي اختلاف في المعاني والأحكام، لا في أصول الدين ولا في فروعه، فإنه يجدر بنا أن نشير إلى أمر هام جدا، وهو أن العلماء لم يتركوا الأمر هملا والباب مفتوحا لقبول كل ما يسمع من القراءا

العربية ولو بوجه.

سندها بحيث لا يجوز ردها.

المصاحف العثمانية.

قراءات وحي من عند الله عز وجل، ووقف منقول عن الرسول - صلى الله عليه وسلم - وليس تبعا لأذواق البشر أو قواعد لغتهم:

رف،

ال:

الله صلى الله عليه وسلم:«أقرأني جبريل على حرف فراجعته، فلم أزل أستزيده ويزيدني حتى انتهى إلى سبعة أحرف»

([4]).

وعن أبي بن كعب - رضي الله عنه -

جاء«أن النبي صلى الله عليه وسلم كان عند أضاة بني غفار ([5]

ابوا»

([6]).

وعن عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - قال:

قال

منها»

([7]) ([8]).

لن اختلاف القراءات محصورة:

ثانية،

ه سبحانه وتعالى:

(مالك يوم الدين (4))

(الفاتحة)

شاهد في الآية كلمة (مالك)، وفيها قراءتان:

"مالك" اسم فاعل من "ملك" وهي قراءة حفص وآخرين.

قراءة نافع وآخرين، ومعنى الأولى "مالك" القاضي المتصرف في شئون يوم الدين وهو يوم القيامة، أما معنى الثانية: "ملك" من بيده الأمر والنهي ومقاليد كل شيء، ما ظهر منها وما خفي، وهو أعم من معنى "

ين([9]).

د القراءات يثري المعنى:

على وجهين أو أكثر يكون لكل قراءة معنى مقبول يزيد المعنى ويثريه، فالقراءات القرآنية لا تؤدي إلى خلل في آيات الكتاب العزيز، ويجب أن نعرف أن القراءات الصحيحة مسموعة من سيدنا جبريل - عليه السلاه

كتابة القرآن في مصاحف هي الأصل، ولن تكون، لقد سمع المسلمون من محمد - صلى الله عليه وسلم - "فتبينوا" و "فتثبتوا" في

لى:

ها الذين آمنوا إن جاءكم فاسق بنبإ فتبينوا)

(الحجرات: 6)

لله.

ين علاقة وثيقة، لأن التبين - وهو مصدر "فتبينوا" - هو التفحص والتعقب في الخبر الذي يذيعه الفاسق بين الناس، وهذا التبين هو الطريق الموصل للتثبت؛ فالتثبت هو ثمرة التبين، ومن تبين فقد تثبت، ومن تثبت

عنه"([10]).

ة:

كن مكمن الوهم لدى هؤلاء المدعين أنهم لا يعرفون شيئا عن علم القراءات، فظنوا أن التعدد يعني الاختلاف، وليس الأمر كذلك، إنما هو نطق ألفاظ القرآن، كما نطقها النبي - صلى الله عليه وسلم - على وجوه م

دد حكما، منها: التيسير على الأمة ذات اللهجات المتعددة والألسنة المتباينة؛ حتى لا يشق عليها التزام وجه واحد في القراءة.

ب عليه أي اختلاف لا في أصول الدين ولا في فروعه، وإنما هي طرق أداء صوتية، أكثر منها نحوية وصرفية، لم ينتج عنها أي اختلاف في المعاني ولا الألفاظ.

ن عند الله - عز وجل - ما كان للنبي محمد - صلى الله عليه وسلم - ولا لأمته من بعده أن يخترعوه من تلقاء أنفسهم، بل هو تيسير ورحمة من الله لعباده، وهي كلها مسموعة من جبريل - عليه السلام - لرسول الل

دد القراءات لا يشمل إلا كلمات محصورة في بعض الآيات التي يعلمها أهل هذا الفن، كما أن الكلمات التي تقرأ على وجهين أو أكثر يكون لكل قراءة معنى مقبول يزيد المعنى ويثريه.

المراجع

1. [illegible] 1987م. مناهل العرفان في علوم القرآن، محمد عبد العظيم الزرقاني، مكتبة مصطفى الباز، مكة المكرمة، [illegible] 1996م. ج1، ص 417.
2. [illegible] 2004م. [illegible] 1425هـ. [illegible] 1417هـ / 1996م، ج1، ص 120: 130 بتصرف.
3. صحيح: أخرجه أحمد في مسنده، مسند الشاميين، بقية حديث عمرو بن العاص عن النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ (17853)، والبيهقي في شعب الإيمان، باب في تعظيم القرآن، فصل في ترك الممارات في ال
4. أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب فضائل القرآن، باب أنزل القرآن على سبعة أحرف (4705)، ومسلم في صحيحه، كتاب صلاة المسافرين، باب بيان أن القرآن على سبعة أحرف وبيان معناه (1939).
5. مستنقع الماء.
6. اه (1943).
7. أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب استتابة المرتدين والمعاندين وقتالهم، باب ما جاء في المتأولين (6537)، وفي مواضع أخرى، ومسلم في صحيحه، كتاب صلاة المسافرين، باب بيان أن القرآن على سبعة أحر
8. ط13، 1425هـ/ 2004م، ص149.
9. ط2، 1425هـ/ 2004م، ص42، 43.
10. ط2، 1425هـ/ 2004م، ص53: 48 بتصرف.